فلكي المشرق محمد بن عيسى المهاني والبتاني الذي سماه الافرنج بطليموس المسلمين (المتوفى سنة ٣١٧هـ) وهو الذي جمع كليات المعارف المكتسبة في عصره وألف أربعة ارصاد في الشمس والقمر ورسالة في الفلك ورصد السماء بالرقة . ومنهم علي بن اماجور واخوه الاذان رصدا السماء . وألفا زيجا عجيبا وبينا طريقة جديدة لاكتشافات فلكية وفروقا ظاهرة في حساب حركات القمر كما حسبها اليونان والعرب من قبل كما بينا ان حدود اكبر عروض القمر ليست واحدة دائما ثم جاء من بعدهما أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بابن الاعلم وعبد الرحمن الصوفي اللذين تعلم منهما الفلك الملك عضد الدولة البويهي ونبغ في عصره وعصر اخيه شرف الدولة (وقد مر ذكرهما) كثيرون لما كان لهما من العناية بتعضيد الفنون (لها بقية)

﴿ الشعر العربي — تتمة ﴾

لحضرة الاديب اللوذعي ، مصطفى صادق افندي الرافعي

أما فنون الشعر فما زالت الايام تلد منها أخا بعد أخ من لدن امرئ القيس حتى وقف ابو تمام في طريق ابنائها فقبض على عشر بأصابعه وقام عليها بحماسته يعرفها الشعراء فلا يغادرون صغيرة ولا كبيرة الا ومنها في اذهانهم ما يفعله ثوبوب الغادية بالروضة القحلاء . وهنالك ضرب بينهم وبين معشش الابناء (كذا) بسد فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا .

بينما كان الشعراء في هذا القيد يهيمون في كل واد بين حماسة ومراث وادب وتشبيب وهجاء واضافات وصفات وسير ومليح ومذمة الجنس

اللطيف كان عبد العزيز بن ابي الاصبع يستنزل الفنون من شعف القلال الى سهل الخيال حتى مثلت لديه ثمانية عشر ليس وراءها مطلع لناظر . فيجعلها غزلاً ووصفاً وفخراً ومدحاً وهجاء وعتاباً واعتذاراً وادباً وخمريات وزهداً ومراثي وبشارة وتهاني ووعيداً وتحذيراً وتحريضاً وملحاً وباباً مفرداً للسؤال والجواب . على انه في ذلك لم يخل من خطل في الرأي . أما وان لكل من تلك المنازع طريقاً لايجوزه الشاعر حتى يتزود بعد اجادة الصناعة مع الادب الحقيقي قول ابن رشيق المتقدم . وان لنكوص العمران على عقبيه تأثيراً في اذهان الشعراء فقد وجد منذ عن قريب فيما جاور البلاد العربية كبغداد والموصل وديار بكر وغيرها شعراء لايميزهم عن اهل الجوابي والبضيع وحوملي الاضعف الاسلوب هذا ديوان الشيخ عبد الغفار الاخرس لو بسط فيه النظر جناحيه حتى يجمع الى اوله آخره ما خرج الفكر بمعنى جديد على كثرة ما فيه من الابيات

ولقد بقي ذلك البرق يلمع حتى انخدع بخلبه شعراء اليوم في تلك الجهات وامثالها . وعجيب أن ينطق بلسانهم المصريون وامامهم الغور الذي لايدرك والبحر الذي لايخاض وفي بلادهم مايأخذ بمقاد البيان ويغنيهم عن جرعاء الحمى وحسك السعدان . انتشر في مصر الشعراء كالجراد المنتشر حتى لم تكن نهمة اكثرهم (قدمته وحفظه) من الشعر الا كالهباءة في الاجواء الثائرة وكيف لايكون كثيرهم عالة على الشعر واهليه والادب ومنتحليه ما دامت البلاغة فيهم « خاوية لوفض بادية الانفضاض »؟

اذكر ان ليلة جمعتني بعالم يدرس البلاغة فاخبرني ان له في الشعر يدا وان هذا الفن من السهولة بحيث لا يعتبر كغيره من الفنون فحدا بي

الشوق أن ارى ما وراء كلامه فقلت له ان رأى الاستاذ أن يجيز « ورد الخدود ودونه شوك القنا[1] » فما هي الا هنيهة جال فيها بخاطره ثم استرعى الاسماع واستفرغ الافكار وظهر عليه الطرب حتى خلت أن من وراء استرعائه ما يخجل ابا تمام وحزبه فاذا هو يقول

ورد الخدود ودونه شوك القنا فدِ يا أخيَّ فارحما

فوالله ما تصيب القنا فذ باشواكها ما اصاب منا شوك قنا فذه

هذه نادرة لم يظفر ابن الاعرابي بمثلها بل ولم يكن في تاريخ الشعر العربي كله احسن منها

ولشد ما لقي الادب من اولئك فانه اكثر مما لقي البازي عند المرأة العجوز[2]

ألم تر كيف زعم الغربيون ومن يتعصب لهم من ابناء الشرق أن العرب لم تذق ألسنتهم من البلاغة الا كما تذوق الاعين من النوم غراراً ومضمضة . وان لهم لعذراً في ذلك ما دام شعراؤنا بمعزل عما يقوله الشاعرون . وربما ركب هواه من ليس يعرف مبلغ العرب من الحكمة

(١) صدر بيت لناصح الدين الارجاني الفقيه المشهور القائل

انا اشعر الفقهاء غير مدافع بالعصر او انا افقه الشعراء

وتمامه « فمن المحدث نفسه ان يجتني »

(٢) اصلها فيما قيل انه كان لبعض الملوك باز وكان به مغرماً فاطلقه يوماً على صيد فذهب ولم يعد وكان قد نزل في بيت عجوز فلما رأت منقاره ظنت ان شكله بدونه يكون جميلاً فقطعته ثم ارتأت ذلك في مخالبه فالحقتها بالمنقار وجزت جناحيه وبينما اتباع الملك يبحثون عنه وجدوه عندها فلما رآه سيدهم امرهم ان ينادوا عليه امام الاعين هذا جزاء من رمى بنفسه عند من لا يعرف مقداره

فارتفع بشكسبير وروبرت والفرد ده موسيه وجايتي واضرابهم الى الذروة ونزل بامرئ القيس وزهير والمتنبي وامثالهم الى الحضيض واستدرج بابي العلاء — الذي يلقبه الافرنج بحكيم المشرق — وعلاء الدين الوداعي واتباع هؤلاء من سالفيهم ولكنه كتم في غير مكتم واستسمن ذا ورم.

لعمري وما عمري على بهين لو كان الملك الضليل (١) في عصر الافرنج الذي ينطق الابكم ويحل عقدة البيان من الاسان لتهافتوا على اقدامه تهافت الذباب على الشراب وما وجدوا الى شق غباره من سبيل.

هذا الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموي جاء في زجله المجرد من الاعراب تجريد السيف من القراب بما يضارع اعظم خيالات الافرنج قاطبة وهو من المتأخرين لم ينسم من عرف المدنية ما نسموه حيث يقول في وصف خياط سأله ان يصفه

صف جبيني وشعري من تفصيل ... نظمك المبتكر

قلت خيط الصباح يستفتح ... ذيل الدجى في السحر

قال لي قصرت بل هو ستر الله ... حين على اسبلو

حابك الزرقا فاتق الخضرا ... بالهلال حكلوا

ولست أرى فيما نمم عن فضل العرب في شعرهم اطيب من قول النعمان وقد حاجه كسرى في قومه «وأما حكمة ألسنتها فان الله اعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الاجناس»

اذا العيب على عاتق شعرائنا اليوم. كيف يضيء المغرب ويظلم

(١) هو امرئ القيس لقبه بهذا الاسم علي عليه السلام

المشرق ؛ فما لنا وللجزع اليماني وهذا اللؤلؤ والمرجان وما لنا ولحصباء العقيق وهذا العقيق والعقيان وما لنا ولماء الغدران ينساب كالحيات وهذه سحب النعيم غاديات رائحات وامام العين مايذكر الجنان ويعلم الانسان كيف يكون الشعر في الشعراء ولا اخال أطروفة ابن الجهم تخفى على أديب

بقي ان الناس يقولون ان الشعر العربي كشجرة الدفلى اذا أكلها مقتر برونقها أودت به الى حيث لا يرد انفاسه وضربت اسدادها بينه وبين السعادة . ولقد يصيب هذا القول غرضه من الحق مادامت الدلاء ينهز بها الناس مع الغواة وما دامت الامة لا توقظ الافئدة من سباتها العميق .

هذه حالة أولئك يعدون ما كان من هذا القبيل كأنه حماسة العصر تركها ابو تمامه . وغير امتنا جرى شأوا مغربا لا يرغبون من الشعراء الا ان يلقوا بين أعينهم مجد البلاد وفخر العباد فلا ينظمون غير منثور الآثار ولا يدعون لسوء الاحدوثة من قرار وكل منهم كما قال شاعرنا أبو النجم البُستي

له قلم حده لا يكل اذا كان في الحرب سيف يكل
فيوجز لكنه لا يخل ويطنب لكنه لا يمل

وهل سبقهم لذلك الا نابغة بني ذبيان حصرار بين يوما فانتصر قومه فأخذه الطرب لمجدهم حتى قال الشعر ونبغ فيه ؟

يستشف الناس معائب شعر العرب القديم في عصر التمدن الجديد فلا يجدون من الشعر ما كان يجده القائلون من قبل وهيهات ان يكون منه في شيء قول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اذا أنشد الناس في الازبكية مثلا حيث لا تكر كره صبا نجد ولا

تهتف به اجلاف العرب فى سقط اللوى بين الدخول فحومل . وما احسن الشعر اذا كان ملبسه يشوق ومنظره يروق لا تلج به الصلابة ولا تملأه الصبابة يتناول المعنى دونه النجم علواً والنسيم رقة ولطافة وحبذا ان يكون للشاعر غير البليغ والداعج الخ مما يعيد مجد بلاده ويرفع ما تأود من عمادها . واسلوب الشعر المتين ان يكون اللفظ بقدر المعنى لا زائداً فيفرط ولا ناقصاً فيفرّط .

قال خلاد لبشّار بن برد انك لتجيء بالشيء المتفاوت . فقال وما ذاك قال بينما تجيء بالشعر يثير النقع ويخلب القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

اذا ما اعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

الى ان تقول

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

فقال لكل شيء وجه وموضع وهذا قاله فى جاريتى ربابة وهو من قولى عندها احسن من (قفانبك) من ذكرى حبيب ومنزل .

وفيما قدمناه ما يكفل للمتأمل ان يمر به فى المجلة البيضاء حتى يجيء من البيان بالسحر ومن الشعر بالحكمة